ملخص محاضرات مادة الفونولوجيا

ليسانس اللسانيات التطبيقية

الأستاذ الدكتور ابراهيمي بوداود

السنة الجامعية 2022/2021

مدخل إلى الفونولوجيا

تمهيد

يشكل الصوت اللغوي العربي، تركيبا من الوحدات القاعدية تنبني عليها المستويات اللغوية، وهو مكوّن من جزيئات (الصائت والصامت) المترابطة، التي لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فصلا فعليا وتطبيقيا. لأن التحقيق النطقي للصوت يقوم أساسا على إنتاج الصامت والصائت معا. ولكن يبقى التمييز بين الصوامت والحركات ذو أهمية نظرية وعلمية كبيرة، لا في الجانب الصوتي من اللغة حسب، بل على جميع المستويات التحليلية، ويقوم هذا التمييز على أسس نطقية وفيزيائية ووظيفية.، وكل منهج تحليلي ينطلق أساسا من فكرة التفكيك والتجزئة.

إن التحول الذي شهدته الدراسات الصوتية عبر التصور البنوي لدى مارتينيه ***martinet*** وجاكوبسون ***yakobson*** أدت إلى الوقوف على العلائق التي تربط بين الخاصية المادية للصوت ، والوظيفة التي يؤديها داخل التشكّلات الكلامية، وبخاصة الوظائف الدلالية منها، مما أرغم دارسي علم الأصوات، على إعادة النظر في طرائق البحث عن خصائص الصّوت اللغوي، وطبيعة تكونه قبل الولوج إلى وظيفته، ولم تكن نظرية الفونيم عند تروبسكي ***Trobtskoy*** و نظرية التقابل الألفوني من بعدها، إلا نتاجا لمجموعة من الإدراكات المتلاحقة لأسرار الصّوت الإنساني، استنادا إلى سلطة الآلة والتقنية المتجددة، بيد أن هذا التحول الإدراكي لم نشهد له النقلة المتوخاة في الدرس الصوتي العربي، الذي ظل حبيس الأخذ الوصفي والتمثل المعياري لآراء النحاة.

موضوع الفونولوجيا

تزودنا الصوتيات العامة ، بوصف للموارد الكاملة للصوت المتوفرة للإنسان الراغب في التواصل عن طريق الكلام .وهي في جوهرها لا تعتمد على لغات معينة .بينما تقدم الفونولوجيا، من بين الأشياء الأخرى، وصفا للخيارات المحددة التي يقوم بها متحدث ما ضمن هذا لنطاق من الإمكانيات .ولذلك نجد في المقام الأول أن الفونولوجيا تهتم بدراسة لغة واحدة أو بدقة أكثر، بضرب واحد من اللغة .ولذلك يمكن بناء النظريات الفونولوجية العامة فقط بنقلة واحدة أي، على أساس الحقائق الفونولوجية الثابتة للغات معينة .لذا نجد أن هناك فروقا جوهرية بين النظامين الصوتيات والفونولوجيا.

والفونولوجيا علم يهتم أساسا بدراسة العلاقة بين الصوت ومعناه، ويعنى بدراسة وظائف الأصوات في لغة ما، وكيفية تنظيم الأصوات في تلك اللغة، مع التركيز على ما يطرأ على أصوات لغة ما عندما تتجاور في تكوين الكلمات، والكيفية التي تتفاعل بها هذه الأصوات، ويحاول هذا الفرع من علم اللغة شرح وظائف الأصوات والعمليات الوظيفية الصوتية في صورة قواعد أو قوانين تعرف بقوانين الفونولوجيا،

التي تعنى بالجانب الوظيفي للصوت اللغوي ضمن أنساق اللغة وبنى الملفوظ ، ومن هنا ، فإن المبحث الفونولوجي ينهض على مساءلة المحاور الصوتية الآتية:

- الصوت اللغوي
- الفونيم
- المقطع الصوتي
- التشكيلات الصوتية
- المقاطع فوق تركيبة
- النبر
- التنغيم
- نظرية التقابل والملامح التمييزية للأصوات
- الكتابة الصوتية

-حلقة براغ-

المدرسة الوظيفية " مدرسة براغ "

تعود الجذور الأولى لتأسيس مدرسة براغ الوظيفية إلى العالم اللساني التشيكي " **ماثيسيوس**" Mathesius الذي سعى جاهدا إلى دراسة اللغة بشكل مغاير و جديد تختلف عن الدراسة التاريخية ،إذ يعد بذلك من المؤسسين لعلم اللغة الوصفي (اللسانيات) والتي ظهرت بشكل مستقل على يد **"دي سوسير"** منذ قدم محاضراته في سويسرا في **1911** وكذلك جهود **"فرانزبواز"**Franz Boas في أمريكا .

ومثل المدرسة الوظيفية قطبان :

أ . **التشكيون :** إضافة إلى " **ماثسيوس**" نجد " **ترنكا**" B .Tranka ، " **هافرانك**" Havranek و " **فاشيك**" J.Vachek .

ب . **اللسانيون الروس : "تروسكوي" و "كارسفكي"** ويضاف إليهم " **رومان ياكبسون** " ذو الأصل البولندي.

وسميت بالوظيفية لأن الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب وهو بذلك يبحث عن الوحدات التي بإمكانها تغيير المعنى كلما أستبدلت بأخرى .فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة .والمعنى والوظيفة . إذا . هما جوهر إهتمامات المدرسة الوظيفية الأوروبية .

مبادئ حلقة براغ

. يرى الأمير **تروبسكوي** أن ما يجعل للفونيم تعريفا علميا هو دخوله . على الأقل . فونولوجي واحد و هو يريد بذلك أن يؤسس لفكرة مهمة مفادها أن :

كل تعارض (تقابل)بين صوتين يمكن ان يميز في لسان ما بين دلالتين تختلفان بفعل التعارض الموجود بين وحدتين صوتيتين على الأقل. وعليه زمن هذا التصور صار تعريف الوحدة الصوتية الوظيفية (Phonéme) قائما على مفهوم التضاد أو التعارض أو الإختلاف بين هذه الوحدات المنطوقة بالفعل في لسان معين.

ويرى **ميشال زكريا** في مؤلفه " الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها و أعلامها " فيما تم نقله عن **الدكتور حساني** من مؤلفه " مباحث في السانيات" من حيث الشرعية المعرفية فإن الأمير **تروبسكوي** يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي ،و في المؤتمر العالمي الأول للسانيات الذي إنعقد في مدينة لاهاي عام 1928، تقدم بالإشتراك مع **جاكبسون** (R . Jakobson) و **كارسيفيسكي** (Karcevski) ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية ، و هو البرنامج الذي نشأ حوله النادي اللساني في براغ و ظهر في كتابه **1939** .

الفونيم : يتحدد تعريف الفونيم في نظر **تروبسكوي** بمجموعة من الخصائص الفونولوجية المميزة التي تجعله يتعارض مع كل الفونيمات الأخرى .

ويقصد الأمير بهذه العبارة " التعارض الفونولوجي " التعارض الصوتي الوظيفي " أي أن كل تعارض بين صوتين يمكن أن يميز بين معنيين (دلالتين) يختلفان بحكم التعارض الذي فرضته وحدتين صوتيتين على

الأقل في لسان معين ، وهذا ما أشار إليه سالفا **الدكتور أحمد حساني** من مؤلف **ميشال زكريا** ، وبعد تحليل منهجي معمق للأمير في دراسته للفونيم تحت حكم التعارض الفونولوجي الذي إنتهى إليه خلص إلى مجموعة القواعد لتحديد هذا المفهوم :

- **القاعدة الأولى**: إن كان الصوتان من اللسان نفسه و يظهران في الإطار نفسه ، و إذا كان من الممكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون أن يحدث هذا التبادل تغييرا في المعنى، حينئذ، يكون هذان الصوتان صورتين إختياريتين لفونام واحد فمثلا: صوت " السين " في القراءات القرآنية في كلمة " مسيطر" أحيانا نقرأ مرققة في شكل " السين "وأحيانا أخرى نقرأ مفخخة في شكل " الصاد " ، فالصوتان إذن هما : صورتان لفونام واحد مادام ذلك التغيير لم يؤثر على المعنى أي لم يغير المعنى .أو كصوت " الجيم " أو صوت " القاف " في اللسان العربي له صور نطقية مختلفة ، غير أن هذه الصور لا تغير المعنى و عليه فكل من الصور هي صور صوتية لفونام واحد هو " الجيم " أو " القاف " مثلا " وقسم التنوعات الإختيارية إلى عامة فردية ، أما التنوع العام فهو ما لا يمكن إعتباره عيبا نطقيا أو إنحرافا عن المعيار ويمكن لنفسية المتكلم استعماله في حين أن التنوعات الفردية تكون موزعة بين أعضائها مختلفين في المجتمع اللغوي "
- القاعدة الثانية : إذا كان الصوتان تماما في الموقع الصوتي نفسه ، ولا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تغيير في المعنى ، حينئذ ، يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونيمين مختلفين.، مثل :(حال.، جال.، قال.، سال.، نال.) فالأصوات الأولى في الكلمات المذكورة فونيملت مستقلة ، ليس لها أي معنى في ذاتها و لكنها قادرة على تغيير المعنى و تفريع الدلالة و تنويعها .
- القاعدة الثالثة : إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية ، و لا يظهران مطلقا في الإطار الصوتي نفسه ، فإنهما صورتان تركيبيتان لفونام واحد ،مثال ذلك فونام " النون " في اللسان العربي إذ له صور متعددة ، تظهر كل واحدة منها في موقع معين، فالنون الساكنة قبل صوت أسناني كالثاء تنطق أسنانية ، والنون الساكنة قبل صوت لهوي كالقاف تنطق لهوية ، وهكذا تتعدد صور النون بتعدد الأصوات الآتية لها .
- ومثال ذلك في اليابانية الصوت (g) ، والصوت (i) ، الأول يقع فقط أولا والثاني لا يقع أبدا ذلك الموقع، هذان الصوتان يعتبران تنوعات تكاملية لفونيم واحد بإعتبار أنهما الصوتان الحلقيان المجهوران الوحيدان في اليابانية ، وذلك أن نقول أنهما تجمعهما خصائص مشتركة تميزهما عن كلل الأصوات اليابانية الأخرى
- القاعدة الرابعة : أي صوتين . يمكن من ناحية أخرى . أن يحققا القاعدة (03) من المحتمل أن يعتبرا تنوعين نفس الفونيم إذا كانا . في لغة ما . يمكن أن يقع كل منهما تاليا للآخر ، أو بعبارة أخرى إذا كانا جزء من تتابع صوتي Sound Séquence في هذه المواقع حيث واحد من الأصوات يقع منفصلا .

نظرية التقطيع المزدوج
– أدريه مارتينيه-

نظرية مارتيني الفونولوجية : (André Martinet)

ولد **"مارتيني"** سنة **1908** بمقاطعة "السافوا" بفرنسا ألف ما يربو عند مائتين وسبعين مؤلفا منها : " التصنيف الصامتي ذو الأصل التعبيري في اللغات الجرمانية"

« La gémination consonantique d'origine expressive dans les langues germanique » (1937)

وهذا هو عنوان الأطروحة التي نال بها شهادة الدكتوراه يقول **د/أحمد مومن** :"إذا كانت مدرسة براغ قامت بفضل الصوتيات الوظيفية (Phonology) عن الصوتيات ،فإن **مارتيني** ساهم مساهمة فعالة فيإزالة هذا الفصل وعد الفونولوجيا نوعا من الفونتيك الوظيفية (...) ويهدف **"مارتيني"** من وراء نظريته إلى تفسير تطور اللغة بإستعمال مصطلحات بسيطة لا غموض فيها مثل : اللغة (Langue) والجملة (Phrase) ،والفونيم والسمة المميزة (Pertiment Trait) واللفظ (Monéme) أو الوحدة الصرفية التي تقابل المورفيم في بعض النظريات الحديثة الأخرى.

أما عن هدفه من التحليل الفونولوجي فأريد به تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة ومنه راح **"مارتيني"** حسب **" أحمد مومن"** : " وعلى هذا الأساس ميّز بين ثلاث وظائف أساسية : (أ) **الوظيفة التمييزية** (distinctive) أو المصادرة التي تمكن منها السامع من معرفة أن لفظة معينة عوض لفظة أخرى نطق بها المتكلم ، (ب) : **الوظيفة الحاصلة** (Démarcative) التي تمكن السامع من تحليل القول إلى وحدات متتابعة ، .(**ج**) : **الوظيفة التعبيرية** (Expressive) التي تعلم السامع عند الحالة العقلية أو الفكرية للمتكلم ".

فأندري مارتيني ينظر إلى اللفظة من حيث إستقلالها تركيبيا و موقعيا داخل نفس التركيب من خلال الوحدات الوظيفية ويعد مارتيني الإمتداد الطبيعي **لتروبسكوي** لانه ينظر إلى اللفظة من حيث إستقلالها تركيبيا وموقعيا داخل نفس التركيب من خلال الوحدات الوظيفية **(3)** والتي إستخدمها في نظريته لعلم التركيب .

التقطيع المزدوج : ولما كانت السمة البارزة التي تنماز بها اللغة البشرية قابلة للتقطيع المزدوج و هو التقطيع الذي يطال المتواليات اللسانية ومرد ذلك أن عملية التلفظ مبنية على مستويين . حين التلفظ . من حيث تركيب و بنية تلك الألفاظ :

-مستوى تكون فيه الألفاظ . المقاطع الصوتية . ذات دلالة أي لها معنى مستقل تؤديه في تركيب الكلام ونسمي هذه المقاطع الصوتية ذات الدلالة "بالمونيمات" ومفردها "مونيم" Monéme و هو أصغر وحدة صوتية ذات دلالة (أقل ما يمكن النطق به وله دلالة) مثلا : "تحررت فلسطين" .

. فالفعل " تحرر " مونيم .
. وتاء التأنيث " ت " مونيم لأنها أدت دلالة التأنيث .
. وفلسطين " مونيم " .

وعلى هذا المنوال يمكن تفسير الكلام إلى وحدات دالة . مونيمات . ويختلف عددها من متوالية لسانية لأخرى (من جملة لأخرى) ،وهذا المستوى الأول من إزدواجية التقطيع يفيدنا في التعرف على الوحدات الدالة مفردة داخل التركيب (تركيب الكلام) فندرسها ووضعها فيه ، وكل ما يعتريه من تحولات و هذا ما يقابل علمي الصرف و النحو .

أما المستوى الثاني من التقطيع اللغوي فهو يعتري المونيمات أي تقطيع المونيمات في حد ذاتها إلى وحدات صوتية صغيرة تمييزية **(*)** غير دالة و غير قابلة للتقطيع و هي التي تعرف بالفونيم Phoneme وهو أصغر وحدة صوتية غير دالة تمييزية و لا تقبل التقطيع إلى وحدات دونها .

إن لهذا المبدأ قيمة لسانية ذاك أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات (الحروف و الأصوات اللغوية) وهذا ما يؤسس مفهوم الإقتصاد اللغوي في اللسانيات(L'économie L'inguistique) .

" وقد كان **مارتيني** أكثر شجاعة من ضميره حيث قال :" إنه من الممكن أن نصنف النظام الفونولوجي لأي لغة دون استعمال المصطلح " فونيم " ، من الممكن حفظ الاحتمالات التصاحبية المتزامنة والمتعاقبة للملامح الملائمة " ، ولهذا ، عن **مارتيني** أنه أعتبر كأساس للتحليل الفونولوجي اعتبر الخاصة المعينة أو الملائمة Relavant Feature ولم يعتبر الفونيم ، وقد ذكر " أن الخاصة المعينة هي العنصر الوحيد الذي يسلم له بالوجود الحقيقي ".

الفونيم

تمهيد

ظهر الاهتمام بجزئيات اللغة في العصر الحديث فما كان علما واحدا أصبح عدة علوم ومن ذلك "الصوتيات La phonétique " التي تشعبت بدورها إلى فروع أبرزها "الصوتيات الوظيفية La phonology " وهي تعنى بدراسة وظائف جزئيات التحليل اللغوي ومن بينها مصطلح "الفونيم Phonem" الذي نشأت نظريته بعد: ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع ألفبائيات للغات البشر المتعددة، ولعل أقدم استعمال له يعود للعالم اللغوي فرديناند دوسوسور.

يقول أندريه مارتيني: يمكن تحليل كل نص، في أي لغة صيغ، تحليلا تاما إلى مجموعة متتالية من الوحدات التمييزية. هذه الوحدات التي تتصف بالاستقلال، عددها محدود في كل لغة وهي تسمى في اصطلاح اللسانيات الغربية الحديثة بـ "الفونيم" وجاء في تعريفه: هو الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن تجزيء سلسة التعبير إليها فالفونيم بهذا، هو أصغر وحدة صوتية نصل إليها أثناء تحليل التراكيب اللغوية، ويمكن أن يكون صامتا أو صائتا.

وتقول عنه جاكلين فيسيار: الفونيم أصغر وحدة وظيفية في النظام الصوتي أي أن تحديد الفونيم في أي تركيب لغوي يتم على أساس وظيفي دلالي وتتمثل وظيفة الفونيمات في لغة ما في إقامة مقابلات بين كلمات هذه اللغة. فإذا ظهر صوتان في الوضعية الصوتية نفسها، ولم يكن بإمكان أحدهما الحلول مكان الآخر من دون تغيير دلالة الكلمات، أو من دون أن يتعذر التعرف على الكلمة، يكون هذان الصوتان في هذه الحالة تحقيقين لفونيمين اثنين فمثلا نجد مقابلةً أو تقابلا في العربية بين التاء والثاء حين نقول "كتب" ثم نحل محل التاء ثاء فنقول "كثب" ولا ندخل أي تغيير آخر على الكلمة، فالتاء "فونيم" والثاء "فونيم" هذا في الصوامت.

تعريف الفونيم

الفونيم من المصطلحات اللغوية التي يصعب تحديد مفهومها , وقد اختلف مفهوم هذا المصطلح باختلاف الزوايا التي نظر منها العلماء إليه , فمنهم من نظر إليه نظرة تشكيلية مادية تحدده من خلال أعضائه , ومنهم فريق نظر إلى الفونيم من خلال وجوده العقلي , وليس وجوده المادي , وهناك فريق رفض النظرة المادية والعقلية ومال ناحية المنظور التجريدي .

ونقرر هنا كمدخل للتعريف بهذا المصطلح أن الفونيم فكرة تتعلق باللغة المنطوقة , أي : بالكلام الذي يقدم دائما صورا مختلفة الأداء للفونيم الواحد , على حين أن الكتابة في أي لغة لا تستعمل سوى رمز واحد لمجموعة صور الفونيم , وهو رمز يلخص كل الصور المنطوقة . أما علماء الفونولوجيا فقد ذهبوا من منطلقهم البنوي إلى تعريف محدد للفونيم من حيث هو أصغر وحدة صوتية تسهم في تمييز كلمة ما من

أخرى، نحو: ضرب/ هرب . ويعرف بأنه أسرة أصوات أو أنه وحدة وظيفية أو صورة ذهنية وهو شيء مفهومي لا يتحقق وجوده الموضوعي في الخارج، وإنما يتحقق في شكل واحد من أفراده أو أعضائه، وأعضاء الفونيمات تسمى أصوات كلامية أو فونات و ألفونات.

فعن طريق المخالفة نميز بين الكلمتين ضرب وهرب، والفونيمات في أي لغة هي ما يعرف في ثقافتنا اللغوية بالحروف أي حروف البناء، ولكن ينبغي ان نحدد هذا المصطلح حتى لا يبقى غامضا، ويرجع الخلاف في تحديد مفهوم الفونيم إلى الخلاف في مناهج البحث اللغوي بعامة , فكل واحد أو فريق من الدارسين يحدد هذا المفهوم بالوجه الذي يتمشى مع منهجه العام في الدرس اللغوي , وأهم الآراء في تحديد معنى الفونيم ما يأتي :

- الفونيم" عبارة عن عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها" وهو رأي الإنجليزي " دانيال جونز " فالفتحات في العربية مثلا أعضاء لفونيم واحد , هي الفتحة , بسبب اشتراكها في كثير من الصفات , ولكن أية فتحة منها لا تقع في موقع الأخرى , فالفتحة المفخمة في طاب لا تقع محل الفتحة المرققة في تاب أو العكس . فوظيفة الفونيم على هذا الرأي هي التمييز بين الكلمات ومنح هذه الكلمات قيما لغوية مختلفة , صرفية أو نحوية أو دلالية , فتقول : " قال " و " قام " فترى تبادلا بين اللام والميم , فحصل تمييز دلالي بين الكلمتين أي التفريق بين الكلمتين في المعنى , وتقول " لكَ " و " لكِ " بالفتح والكسر , فحصل تمييز صرفي نحوي , ويتبعها تمييز دلالي وتسمى نظرية الفونيم عند " جونز " بالنظرية " العضوية التركيبية " .

- الفونيم " صوت واحد له صورة ذهنية تجريدية يستطيع المتكلم استحضارها في ذهنه ويحاول أن ينطقها في الكلام الفعلي..

- الفونيمات عبارة عن الوحدات الصوتية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها , وهذا رأي "تروبتسكوي " الذي نظر إلى الفونيم باعتبار وظيفته اللغوية في النظام اللغوي ، ويقدم "تروبتسكوي " بعض القواعد للتفريق بين الفونيم والتنوع الصوتي من أهمها :

1 - أي صوتين في لغة ما يكونان تنوعين صوتيين اختياريين لفونيم واحد , إذا أمكن وقوعهما في نفس السياق , ويظهر تطبيق هذه القاعدة من خلال نطق بعض الناس للراء بصورة تقارب الغين العربية , ويظل المعنى المعجمي للكلمة كما هو .

2 - إذا وقع صوتان في نفس الموقع , ونتج عن تبادلهما تغيير في المعنى المعجمي , أو إيجاد كلمة لامعنى لها , كان هذان الصوتان تحقيقين أو تنوعين صوتيين لفونيمين مختلفين , ومن أمثلها في العربية كلمتا " شاب" و "تاب " فنرى تبادل الشين والتاء أدى إلى تغيير في المعنى المعجمي .

3 - الفونيم " عبارة عن حزمة من الخواص الصوتية الأساسية التي يعتمد عليها في التفريق بين الوحدات الصوتية للغة ما , فالميم في العربية مثلا ينظر إليها على أنها مجموعة من السمات التالية : الأنفية والجهرية والشفوية , وهذه هي الخواص الثلاث الأساسية الفارقة بين الميم وغيرها من الوحدات , وتسمى حينئذ فونيم الميم , إذ من الطبيعي أن تختلف السمات الفارقة في هذه اللغات , فالتفخيم في العربية مثلا صفة فارقة , ولكنه ليس كذلك في لغات أخرى كالإنجليزية مثلا , والهمس والانفجارية والشفوية حزمة فارقة في الفونيم الانجليزي ((p التي تختلف عن فونيم الباء ((b في العربية بصفة فارقة مهمة , هي الهمس في الانجليزية , والجهر في العربية .

- الفونيم لا وجود له لا من الناحية العضوية ولا من الناحية العقلية , وإنما هو وحدة تجريدية يقوم الباحث باستخلاصها من الأحداث النطقية بعد تجريدها والوصول منها إلى " كلٍّ " أو وحدة مستقلة .

- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى , أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية المنطوقة في أي لغة كثيرة كثرة فائقة , في حين أن فونيمات كل لغة تقل في عددها عن عدد هذه الأصوات المنطوقة بالفعل بصورة ملحوظة .

الفونيم والألفون :

ما الفرق بين الفونيم والألوفون ؟ لاحظ الأمثلة الآتية:

الصورة الكتابية		الصورة الكتابية
أسفر	س1 ←	س ←
أسدل	س2 ←	ز ←

فالسين في كل كلمة من هذه الكلمات ينطق بصورة مختلفة عما ينطق في بقية الكلمات. فيمكن أن نسمي هذا التنوع للسين (ألوفونات). فمجموع النطوق الثلاثة وهي : س 1 + س2 = فونيم السين فالكتابة واحدة، غير أن النطق مختلف فالألوفونات، هي التنوعات أو هي أفراد لنوع واحد أو نمط واحد وهو الفونيم الذي يؤدي وظيفة في نظام اللغة

أنواع الفونيمات:

الفونيمات نوعان: فونيمات تركيبية و فونيمات فوق تركيبية

الفونيمات التركيبية: تنقسم الفونيمات التركيبية إلى قسمين:

الصوامت: وهو ما يعرف بالفرنسية بـ (consonnes) وهي الأصوات الصحيحة، الحركات : وهي ثلاثة في العربية وبتطويلها تصل إلى ستة .

الفونيمات فوق تركيبية هي:

- النبر
- التنغيم
- الوصل والوقف

وظائف الفونيم

اتفق علماء الفونولوجيا على أن الوظيفة الأساسية للفونيم هي التمييز بين الكلمات ومنح هذه الكلمات قيما لغوية مختلفة , صرفية أو نحوية أو دلالية , فتقول : " قال " و " قام " فترى تبادلا بين اللام والميم, فحصل تمييز دلالي بين الكلمتين أي التفريق بين الكلمتين في المعنى , وتقول " لكَ " و " لكِ " بالفتح والكسر , فحصل تمييز صرفي نحوي , ويتبعها تمييز دلالي وتسمى نظرية الفونيم عند " جونز " بالنظرية " العضوية التركيبية "، وذهبت المدرسة الشكلانية إلى تسمية الوظيفية التمييزية الصرفية بالتحديدية، والوظيفية التمييزية الدلالية بالوظيفية التعبيرية.

المقطع اللغوي la sylabe

تمهيد

لقد وُفقت المدرسة الوظيفية بإحداث وثبة جادة في الربط بين تحصيلات الدرس الصوتي في مجاليه التجريبي والعام وبين الحقول النسقية التي تؤديها اللغة، وذلك من خلال البحث في الوظائف الجمالية والأسلوبية التي يؤديها النظام الصوتي بدءا بوظائف الفونيم ***phoneme*** التم[ييزية والتعبيرية وصولا إلى الوحدات التلفظية الصغرى والتي اصطلح عليها بالمقطع التركيبي وفوق التركيبي (***méta-syntaxique***).

في مفهوم المقطع Sylabe

أجمعت أغلب المدارس والمذاهب اللسانية الأوروبية على أن المقطع الصوتي هو الأساس (***Raison***) التراتبي الذي يتحرك وفقا لبنيته المنطوق والملفوظ، بمعنى، أنه تجمُّع فونيمي صومتي جوهره الصّائت الذي يصوت له، ويميزه عن باقي المجموعات الفونيمية في خطية الكلام، ولم يكن لعلماء اللّغة العربية الأقدمين إطلاع أو استعمال لمصطلح المقطع، غير أنهم كثيرا ما تكلموا عن المتحركات والسواكن وعن الأسباب والأوتاد، وذلك أثناء ملاحظتهم للواقع الصوتي للغة التي يتعاملون معها، وهي إشارة ضمنية إلى الفواصل والوقفات التي تنظم الكلم وتوزعه إلى وحدات تصويتية متمايزة. وقد التفت القدامى إلى هذا التوزيع الأدائي الملازم للكلام والذي يتواتر بين نظام السكنات والحركات، وليس أدل على ذلك ، مما دأب عليه "الخليل بن أحمد" بتسمية « العناصر الإيقاعية للشعر بالأسباب والأوتاد والفواصل » ومرد ذلك المظهرية التطريزية المنظمة للكلم والمحدثة للأوزان التي تحكمها.

غير أن فهم "الفارابي" في القرن السادس للهجرة للمقطع جاء متوافقا إلى حد بعيد مع التوجه الحداثي، إذ أورد تعريفا اصطلاحيا للمقطع يدنو كثيرا من التعاريف التي اعتمدت في المدارس اللسانية الحديثة، حيث ذهب إلى أن المقطع هو « كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أن يسمونه المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا وهو يمكن أن يقرن له فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت طويل فإنه يسمى المقطع الطويل »، ولعل جوهر الطرح عند "الفارابي" هو تطرقه إلى مسألة النواة ***noyau*** التصويتية التي يرى فيها أساسا يحرك المنظومة المقطعية في الكلام، حيث يشير بوضوح إلى أن التموقعات التي يأخذها المصوت القصير والطويل، بمعنى الحركة القصيرة والطويلة هو سبب مباشر ورئيس في إحداث المقطع الكلامي وتميزه النوعي.

ولئن كان الوصف الذي خصّه "الفارابي" للمقطع قد ورد بصفة تعميمية، فإن الرأي الذي نحاه المحدثون ينم عن تباين في الرؤى واختلاف في التوجهات، إذ لم يقفوا على حد توصيفي موحد يضبط معيارية المنظومة المقطعية نتيجة امتثالهم لازدواجية الطرح الصوتي القائم على التفرع إلى اتجاه صوتي عام "***phonétique***" واتجاه وظيفي "***phonologie***".

وقد جاء الطرح الفونيتيكي ماديا أكوستيكيا، يسم المقطع بخصائص موجية يتمظهر بها في البنية، فأحال المقطع إلى « تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع » أو أنه « قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم، محاطا بقطاعين، أضعف أكوستيكيا»على حد رأي "***meleviski*** ".

ومن اللغويين من ركّز أكثر على الناحية الفيزيولوجية، فعرّف المقطع بأنه « نبضة صدرية، أو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية أو قمة تموج مستمرة من التوتر في الجهاز العضلي النطقي أو نفخة هواء من الصدر»، حيث علل للمقطع بكيفيات الحدوث، بتوصيف الكيفية التي يوظف فيها الإنسان لكميات الهواء المحدثة للكلام، وهو طرح منطقي ومقبول.

أما الاتجاه الفونولوجي، فقد انعطف إلى التقديم للمقطع انطلاقا من مجموع الوظائف التي يؤديها في الصيغة النسقية، بوصفه الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر في اللغات المنبورة أو نغمة واحدة في اللغات النغمية، فهو « وحدة تحتوي على صوت واحد إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين». غير أننا لا نقع على تقديم فونولوجي أوضح مما جاء به اللغوي "دي سوسير" والقائل بأنه وحدة أساسية « يظهر بداخلها نشاط فونيم الوظيفي ». ومؤداه هنا، هو مجموع الوظائف التعبيرية والتمييزية والتحديدية التي تؤديها الوحدات الصوتية الصغرى غير الدالة في منظومة النسق.

وضمن هذا المعطى، ندرك أن التحديد المفاهيمي للمقطع بُني على منظورين، أولهما مادي يُعنى بالإشارة الأكوستيكية التي يحدثها صوت الملفوظ، وثانيهما نسقي يراعي خاصية اللغة، « فالاتجاه الفونولوجي الدقيق لابد أن يكون خاصا بلغة معينة أو مجموعة من اللغات ولا يوجد تعريف فونولوجي عام» غير أن الخصيصة اللغوية لا تؤدي دورا تحديديا للمطقع بقدر ما تسهم في تحديد نوعه العرفي ومن ثم وظيفته النغمية أو النبرية التي تتعالق رأسا مع التشكلات الدلالية للملفوظ.

تعريف المقطع

لقد عرف مصطلح "المقطع" عند اللغويين القدامى لكن بمعان مختلفة فابن جني مثلا يقول عنه: (اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا) وهو يقصد بالمقاطع هنا العوائق التي توقف الصوت عن جريانه واستطالته في مكان معين وهي ما تمت تسميتها فيما بعد بالمخارج، ونجد هذا المعنى متقاربا مع ما جاء به ابن خفاجة في قوله: (والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت) أي عوائقه ومخارجه.

وقد أشار إخوان الصفا إلى مصطلح التقطيع في قولهم: (الكلام صوت بحروف مقطعة دالة على معان مفهومة عن مخارج مختلفة) لكنهم أرادوا به الحروف المفردة، يخالفهم في ذلك الجاحظ وإن كان قد استعمل نفس مصطلح التقطيع، إلا أنه عنى به تجزئة الكلام في قوله: (الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف .... ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف) أي لا يصح تأليف الكلام إلا من حروف قابلة للتجزئة وإعادة التركيب.

وهناك فئة أخرى عرّفته بما يقارب المعنى الحديث كالفارابي في قوله : (كل حرف غير مصوت أُتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى"المقطع القصير"، والعرب يسمونه "الحرف المتحرك"، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ... وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإنا نسميه "المقطع الطويل") فهو يشير إلى أن المقطع إنما هو اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (صائت) سواء أكان هذا الصامت قصيرا أم طويلا. ويشاركه في هذه النظرة كل من ابن سينا وابن رشد ودراسة هذا الأخير أقرب إلى روح الدرس الصوتي الحديث، وغير هذا ممن درس المقطع من العرب القدامى كثير، كُلٌّ وحسب نظرته إليه.

أما مفهوم المقطع عند المحدثين فهو: (وحدة لغوية أصغر من الكلمة، وأكبر من الحرف) أي أنه يتوسط الحرف والكلمة، وبمعنى أدق هو: (شكل من أشكال تجمّع الفونيمات وتوزّعها في الكلام بين صامت وصائت) أي توالي صامت وصائت معا إذ لا يصح التصويت الدال بأحدهما دون الآخر.

وهناك من عرّفه بأنه: (نبضة صدرية، أو وحدة منفردة تحرك الرئتين، ولا تتضمن أكثر من قمة كلامية، أو نفخة من هواء الصدر) فهو يتكون بين ارتفاعة وانخفاضة صدر واحدة، و يبدو أن كلا من هذين التعريفين يتناول المقطع من زاوية نظر مختلفة، فالأول يصف الجانب اللغوي المكتوب أو الفونولوجي من المقطع ويسمى المقطع اللغوي، والثاني الجانب التصويتي المسموع أو الفيزيائي منه ويسمى المقطع الصوتي.

المقطع: أقل وحدة صوتية يمكن النطق بها؛ أي يمكن الابتداء بها أو يمكن السكوت عليها. وعرفه دانيال جونز: «نظريا المقطع يتكون من سلسلة من الاصوات التي تحتوي على قمة بروز»

المقطع : ليس هناك حتى الآن تعريف واحد متفق عليه , ومع ذلك يمكن القول بشيء من التجوز إن المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت (sound) وأصغر من الكلمة , وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد مثل (من) بفتح الميم أو كسرها .

والمقطع له معنيان :

- يقول ابن جني : هو قطع الهواء أو وقوفه كليا كما في الأصوات (الوقفات) أو جزئيا كما في الاحتكاكيات ويتحقق قطعه من مخرج معين أو عند مقطعه .

- يقول الفارابي : كل حرف غير مصوت (صامت) اتبع بمصوت قصير (حركة قصيرة) قرن به , فإنه يسمى (المقطع القصير)

والعرب يسمونه الحرف المتحرك , من قِبل ان يسمون المصوتات القصيرة حركات وكل حرف لم يتبع بمصوت طويل فإنا نسميه (المقطع الطويل) اذا فالفارابي من الآخذين بالمنهج الفنولوجي (لا الصوتي المحض) الذي ينظر الى المقطع ويعرفه من حيث بنيته ومكوناته في سلسلة الكلام .

سبب اختلاف العلماء في تعريف المقطع تعريفا علميا عاماً يرجع إلى أمور :

- منهم من نحا نحو الجانب الصوتي المحض أي النطقي إلى فريقين :

ففريق اعتمد بعض الآخذين بهذا الرأي على العامل الفسيولوجي أو العضوي للنطق فعرفوا المقطع بأنه خفقة صدرية .

وفريق ثان اعتمد في تعريف المقطع على الجانب السمعي للكلام . وفريق ثالث أخذ بالجانب (الاكوستيكي) في تحديد المقطع وتعرفه , وهذا المعيار يصعب الاعتماد عليه .

- ومنهم من اعتمدوا الجانب الفنولوجي معياراً للحكم أي الجانب الوظيفي للمقطع ودوره في بناء الكلمة في اللغة المعينة .

خصائص المقطع في العربية :

- أن المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين (أو أكثر) إحداهما حركة .
- المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين , كما لا يبدأ بحركة .
- لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين الا في سياقات معينة , أي الوقف أو إهمال الاعراب .
- غاية تشكيل المقطع اربع وحدات صوتية (بحسبان الحركة الطويلة وحدة واحدة) .

أنواع المقاطع:

1- صامت + حركة (ص ح)

2- صامت + حركة + حركة (ص ح ح)

3- صامت + حركة + صامت (ص ح ص)

4- صامت + حركة + حركة + صامت(ص ح ح ص)

5- صامت + حركة + صامت + صامت (ص ح ص ص)

تعقيب على التقسيم النوعي للمقاطع الصوتية

يتكون المقطع من «اتحاد صامت أو نصف صائت أو أكثر بصائت واحد »، حيث تكون الحركة أساسا في تكوين المقطع، أما التقسيمات التمييزية، فتصنف بدلالة النوع أو الكم، إذ نقع على المقطع المفتوح "*ouvert*" الذي يأتي منتهاه صائتا، ويجيء المقطع المغلق "***sylable fermé***" ويسمى أيضا المقفل أو الساكن أو المعوق مغلقا بصامت أو ساكن في منتهاه. كما يخضع التقسيم الكمي إلى قرينتي الطول والقصر في التراتب الخطي للأصوات اللغوية باعتبار الصّائت والحركة، حيث نخلص إلى مقطعين قصيرين نمثلهما بـ /ص ع/ / v c/ أو / ع ص / / c v/ كما نخلص إلى مقطعين متوسطين : /ص ع ص/، /ص ع ع/ ومقطعين طويلين /ص ع ص ص/، /ص ع ع ص/.